ALL IN! مع جوردان إيزلي

ماذا تريد أن أفعل بك؟

أسئلة سألها يسوع | الجزء الرابع | مرقس ١٠:٤٦-٥٢

مقدمة

قبل مدّة، كنتُ واقفًا في طابور ستاربكس خلف رجلٍ كان واضحًا أنه ليس من روّاد المقاهي، إذ كان يحدّق في القائمة وكأنها مكتوبةٌ بلغةٍ أخرى. ابتسمت الموظّفة وسألته ماذا تُحضّر له، فتجمّد قائلًا: «آآه... لستُ متأكّدًا». فحاولت ثانيةً، مُعدّدةً الماكياتو والكابتشينو واللاتيه والفرابيه، «أيّها تريد؟»، لكنه ظلّ واقفًا بينما تكدّس الطابور خلفه. أخيرًا قال: «سيّدتي، أعطِني فقط ما ترينَ أنني أحتاجه». ضحكتُ حين سمعته، لكنه لاحقًا لامس قلبي: هكذا بالضبط يقترب كثيرون منّا إلى الله. نأتي إليه في الصلاة لكننا لا نعرف حقًّا ماذا نريده أن يفعل. نقول: «يا ربّ، باركني»، لكننا لا نحدّد ما يعنيه ذلك. نقول: «يا ربّ، ساعدني»، لكننا لا نوضّح أيّ نوعٍ من المساعدة نطلب، ثم نتعجّب لماذا تبدو صلواتنا بلا قوّة.

في مرقس ١٠، نظر يسوع إلى رجلٍ أعمى اسمه بارتيماوس وسأله سؤالًا أؤمن أنه لا يزال يسأله اليوم: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» (عدد ٥١). تساءل الناس لقرون: لماذا يسأل يسوع—وهو الله ويعرف كل شيء—سؤالًا أصلًا؟ وهذا هو الجواب الجدير بالتدوين: يسوع لا يسأل الأسئلة ليحصل على معلومات، بل يسألها ليدعو إلى التحوّل. إنه يعرف حاجتك مسبقًا، لكنه يريدك أن تسمّيها—أن تخطو بالإيمان وتنطق بها—لأن شيئًا يحدث حين تُعبّر عن الرجاء الذي تحمله. ولتشعر بثقل هذا السؤال، عليك أن تتصوّر المشهد. كان يسوع خارجًا من أريحا في المرحلة الأخيرة من رحلته نحو أورشليم والصليب، والطريق مزدحمٌ بالمسافرين إلى الفصح. وكان بارتيماوس—الذي يعني اسمه «ابن الكرامة»، مع أن حالته لم تكن تبدو كريمة—جالسًا على الطريق، أعمى وفقيرًا ومنسيًّا، يستعطي الفلوس ويسمع حياة الآخرين تمرّ به. ثم سمعها: «إنه يسوع الناصريّ». فدبّت الحياة في داخله، وبدأ يصرخ.

النقاط الرئيسية

١. لا تدع الجمع يُسكِت صرختك

تكاد كل معجزةٍ تبدأ بشخصٍ يرفض أن يصمت. كان بإمكان بارتيماوس أن يصدّق أن صوته لا قيمة له وأن حالته أصغر من أن تنال انتباه يسوع، لكنه بدلًا من ذلك رفع صوته أعلى: «فَانْتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لِيَسْكُتَ، فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيرًا: يَا ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!» (مرقس ١٠:٤٨). كلمة «يصرخ»، اليونانية كرازو، تعني الصياح بانفعالٍ شديد—صرخةٌ خام، غير مصقولة، وغير مُحصَّرة، تنبع من ألمٍ عميق وإيمانٍ يائس. ولاحظ بماذا دعا يسوع: «ابن داود»، اللقب المسيّانيّ، إعلانٌ بأن يسوع هو المخلّص الموعود.

رأى الجمع معلّمًا من الناصرة؛ أما بارتيماوس فرأى فادي إسرائيل. تلك هي مفارقة القصة—الأعمى رأى مَن هو يسوع حقًّا قبل أيّ أحدٍ آخر.

وحين صرخ، حاول الجمع إسكاته. يقول مرقس إنهم «انتهروه»؛ وهي الكلمة نفسها المستخدمة حين انتهر يسوع الشياطين—لم يكونوا يطلبون منه بلطفٍ أن يخفض صوته، بل يأمرونه بقسوةٍ أن يتوقّف. لماذا؟ لأن الإيمان اليائس دائمًا يُزعج المرتاحين. أراد الجمع النظام والسيطرة؛ أما بارتيماوس فأراد يسوع. وهذا ما يفعله الإيمان الحقيقيّ—يخترق المقاومة ولا يرهبه العناد. سيكون هناك دائمًا «جموعٌ» تحاول إسكات إيمانك: أصواتٌ تقول «لا تُزعج الله بهذا»، أو «صلّيتَ بما يكفي»، أو «أنت تُحدث ضجيجًا كثيرًا». ربما جمعك اليوم هو الخوف، أو العار، أو أناسٌ لا يفهمون إيمانك. حين تعلو ضوضاء الحياة، فذلك بالضبط وقت أن تصرخ إلى الله أعلى—لأن «فَوَقَفَ يَسُوعُ» (عدد ٤٩). لم يقف من أجل الجمع؛ بل وقف من أجل الصرخة. هذا هو قلب الإنجيل: نعبد إلهًا لا يزال يقف حين نصرخ إليه بالإيمان.

٢. لا تدع ماضيك يرسم مستقبلك

قال يسوع للتلاميذ: «نادوه»، فقالوا لبارتيماوس: «ثِقْ! قُمْ! هُوَذَا يُنَادِيكَ» (عدد ٤٩). ثم يأتي تفصيلٌ مُثقلٌ بالمعنى: «فَطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إِلَى يَسُوعَ» (عدد ٥٠). في ذلك الزمان، لم يكن رداء المتسوّل مجرّد ثوب—بل كان رمز هويّته، وحالته، ومكانته في المجتمع. كان بطانية أمانه، ونظام بقائه، بل حتى إذنه الرسميّ في التسوّل. فحين طرح بارتيماوس رداءه، كان ذلك أكثر من فعلٍ جسديّ؛ كان إعلانًا روحيًّا: «لن أحتاج هذا بعد الآن». الكلمة اليونانية لـ«طرح»، أبوتيثيمي، تعني أن تُلقي شيئًا بعيدًا—الفعل نفسه الذي يستخدمه بولس في أفسس ٤:٢٢ حين يقول «اخلعوا الإنسان العتيق». هذا ما يفعله الإيمان: يُطلق الأشياء التي كانت تُعرّفك يومًا لتدخل إلى مَن خلقك يسوع لتكون.

وهنا يعلق كثيرون منّا. نريد المعجزة، لكننا لا نريد أن نُطلق الذهنيّة القديمة؛ نريد أن نرى بشكلٍ مختلف، لكننا لا نريد أن نحيا بشكلٍ مختلف. يعلّمنا بارتيماوس أن الإيمان ليس فقط أن تنال شيئًا جديدًا—بل أن تترك بعض الأشياء القديمة. فأيّ رداءٍ تحتاج أن تطرحه اليوم؟ ربما ليس قطعة قماش، بل لقبًا ألصقه بك أحدهم: «فاشل». «مطلَّق». «مدمن». «غير كافٍ». أو ربما نمطٌ—طريقة تفكيرٍ قديمة، خطيّةٌ مألوفة، شعورٌ بالعار حملته زمنًا طويلًا. حين يدعوك يسوع باسمك، لا يمكنك أن تبقى مُلتفًّا بما جاء ليزيله. اطرحه، واخطُ نحوه.

٣. لا تفوّت السؤال الذي قد يغيّر حياتك

آمن بارتيماوس، وصرخ، ووجد شجاعته، وجاء راكضًا—والآن ينظر إليه يسوع ويسأله: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» (عدد ٥١). يبدو بسيطًا، بل بديهيًّا، لكنه من أعمق الأسئلة التي طرحها يسوع يومًا، لأنه كان يعرف تمامًا ما يحتاجه بارتيماوس. لم يكن يسأل ليحصل على معلومات؛ بل كان يدعو بارتيماوس أن يقولها بصوتٍ عالٍ ويعلن تحديدًا ما كان يؤمن أن الله يفعله. الكلمة اليونانية لـ«تريد»، ثيلو، تعني «أن تشاء، أن تختار، أن تعزم»—لم يكن يسوع يقدّم معروفًا فحسب، بل يدعو بارتيماوس أن يوائم إرادته مع قدرة الله. كان الأمر كأنه يسلّمه شيكًا روحيًّا على بياض ويقول: «املأ السطر. قل لي ماذا تطلب».

لكن هنا يتردّد كثيرون منّا، خائفين أن يطلبوا بجرأة. ذات مرّة، في كنيسةٍ سابقة، أخرج رجلٌ معروفٌ جدًّا دفتر شيكاته، وانحنى، وقال لي بما يشبه الهمس: «أيها الراعي، قل لي فقط—كم تحتاج؟». كان المشروع بملايين الدولارات، فتجمّدتُ. هل أعطيه رقمًا صغيرًا وآمنًا، أم المبلغ الكامل وأخاطر بأن أُخيفه؟ لعبتُها بأمان وذكرتُ مبلغًا عرفتُ أنه يستطيع تدبيره بسهولة. لم يرمش حتى—كتب الشيك، وصافحني، ومضى—وإلى اليوم أتساءل ماذا كان بإمكانه أن يفعل لو كانت لديّ الشجاعة لأطلب. غيّر ذلك الموقف طريقة تفكيري في الصلاة، لأن يعقوب ٤:٢ يقول: «لَيْسَ لَكُمْ لأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ». أحيانًا نحدّ ما يفعله الله لأننا نحدّ ما نحن مستعدّون أن نطلبه؛ نقدّم له صلواتٍ آمنة لأن الصلوات الجريئة تُقلقنا. لكن سؤال يسوع دعوةٌ لإيمانٍ أعظم: «لا تُصغّر طلبك ليناسب فهمك. ثِق بقدرتي أكثر من راحتك». وقد جسّد بارتيماوس هذا تمامًا—لم يتردّد: «يَا سَيِّدِي، أَنْ أُبْصِرَ!» (عدد ٥١). تلك الكلمة «رابوني»، المستخدَمة مرّتين فقط في الكتاب، تعني «سيّدي»—وهي شخصيّة وحميمة. أراد بارتيماوس أكثر مما يستطيع يسوع فعله؛ أراد يسوع نفسه. فاطلبْ بجرأة، اطلبْ تحديدًا، اطلبْ بترقّب.

٤. لا تقف عند المعجزة: اتبع السيّد

«فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ. فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ، وَتَبِعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ» (عدد ٥٢). ذلك السطر الأخير من أحبّ اللحظات إليّ في القصة، لأن بارتيماوس لم يَنَلْ معجزةً فحسب—بل دخل في علاقة. كان بإمكانه أن يصرف الشيك ويعود إلى بيته ليتمتّع بشفائه في الخفاء، لكنه بدلًا من ذلك قام، وفتح عينيه، وبدأ يسير في الاتجاه نفسه الذي يسير فيه مخلّصه. هناك فرقٌ شاسع بين أن تكون مستهلكًا للمعجزات وأن تكون تلميذًا ليسوع. كثيرون يحبّون أعمال يسوع لكنهم يقاومون طرق يسوع—يريدون قوّته لا حضوره، بركاته لا ربوبيّته. يُرينا بارتيماوس الإيمان الحقيقيّ: إيمانٌ لا يكتفي بأن ينال من يسوع بل يسير معه بعد ذلك. ولا تنسَ إلى أين كان يقود ذلك الطريق—نحو أورشليم، نحو الصليب. كانت خطواته الأولى كمؤمنٍ جديد خطواتٍ نحو الجلجثة، وهذا هو التلمذة حقًّا: اتّباع يسوع لا يقود دائمًا إلى الراحة، لكنه كثيرًا ما يقود إلى الصليب.

الهدف الأسمى للإيمان ليس أن تحصل على شيءٍ من يسوع—بل أن تصير أكثر شبهًا به، وهذا لا يحدث إلّا حين تُسلّم كليًّا وتتبعه مهما كان. الإيمان الحقيقيّ يتحرّك قبل المعجزة؛ يعمل قبل النتيجة ويطيع قبل أن يفهم. هذا هو الفرق بين التصديق والإيمان: التصديق السلبيّ يقول «أعرف أن يسوع يقدر»، أما الإيمان الفعّال فيقول «أخطو لأنني أعرف أنه سيفعل». وقائمة الإيمان في عبرانيّين ١١ لا تذكر أناسًا آمنوا بصمتٍ بل أناسًا تحرّكوا بجرأة—بنى نوحٌ الفلك قبل أن تسقط قطرة مطر، وترك إبراهيم بيته دون أن يعرف إلى أين يذهب، ودخل موسى البحر الأحمر. كلٌّ منهم عمل قبل أن يرى. ربما يدعوك الله أن تتحرّك اليوم—أن تسامح أحدًا، أن تُسلّم شيئًا، أن تخدم حيث ظلّ يدفعك، أن تعطي بطريقةٍ تُكلّفك، أو أن تثق به من جديد حيث توقّفتَ عن الإيمان. لا تنتظر حتى يصير كل شيءٍ مفهومًا. جاء بارتيماوس يطلب البصر، لكن يسوع أعطاه الخلاص؛ أراد أن تنفتح عيناه، ففتح يسوع حياته كلها. هذا هو المخلّص الذي نعبده—دائمًا يعطي أكثر مما نطلب. وهو لا يزال يسأل السؤال نفسه اليوم: «ماذا تريد أن أفعل بك؟». لأن الإيمان الذي يقف ساكنًا يفوّت المعجزة، أما الإيمان الذي يخطو إلى الأمام فيجد يسوع دائمًا.

أسئلة للتأمل

1. رفض بارتيماوس أن يدع الجمع يُسكِت صرخته. أيّ «جمعٍ»—الخوف، أو العار، أو آراء الآخرين، أو شكّك الخاصّ—كان يُسكِت إيمانك، وكيف سيبدو أن تصرخ إلى الله أعلى هذا الأسبوع؟
2. «طرح بارتيماوس رداءه»—الهويّة التي عرّفته وقيّدته. أيّ لقبٍ أو نمطٍ تحتاج أن تطرحه لتخطو نحو يسوع، وما الذي يجعل تركه صعبًا عليك؟
3. سأل يسوع: «ماذا تريد أن أفعل بك؟». لو سألك اليوم، بماذا تجيب—وأين كنت تصلّي صلواتٍ «آمنة» بدل أن تطلب منه بجرأةٍ وتحديدٍ وترقّب؟